أسئلة وأجوبة

Questions et Réponses.

القطارة أو الساعة المائية

س . الله آباد (الهند) السيد م . م الحسني . ما كانت الساعة التي اهداها هرون الرشيد الى شرلمان ؟ وما تسمى في العربية ؟ وكيف كان صنعها ؟ وهل ورد ذكرها في التاريخ؟ وهل عرف العرب اتخاذ تلك الساعات قبل زمن العباسيين؟

ج . المشهور ان الساعة التي اهداها هرون الرشيد كانت ساعة مائية على ما نقل الينا مؤرخو الافرنج واخبارهم في كتب التاريخ

واسمها عند الافرنج Clepsydre وسماها بعض كتبة العرب الساعة المائية ، واسمها الحقيقي في لغتنا : « القطارة » . وفي معجم لاروس الذي يرى في المدارس : « اهدى هرون الرشيد الى شرلمان قطارة بديعة » . والكلمة الافرنجية من اصل يوناني من Kleptéin اي اخفى و udôr أي ماء فيكون محصلها « مخفية الماء . وقد ذكر لاروس في معجمه الوسط ان ڤتروڤ يعزو اختراعها الى كتيسيبيوس الحيلي المشهور ، وكان عائشاً في مصر في نحو سنة ١٢٤ ق . م . إلا انه يخالفه بقوله ان القطارة كانت مستعملة في الصين وديار مصر . وكان الفاليون (وهم الفرنسيون الاقدمون) عرفوها قبل قدوم قيصر اليها اذ دهش لوجودها في غالية .

اما ان العرب عرفوها في الجاهلية فظاهر مما ذكره الهمداني في كتابه الاكليل في الجزء الثامن منه الذي اتممنا الآن نشره من مدفنه (في ص ١٦ من طبعتنا) عند وصفه غمدان مأرب ، قال :

... وبكل ركن رأس نسر طائر أو رأس ليث من نحاس يزأر
متضمناً في صدره « قطارة » لحساب اجزاء النهار تقطر ...

فهذا نص واضح على وجود القطارة في صدر القصر على حد ما يرى في ديار الغرب . اذ كثيراً ما تقام الساعات الكبار في صدور الابنية ، ولا سيما ابنية الحكومة . نعم ان « القطارة » اسم عام يشمل كل آلة تقطر الماء ، على ان تخصيصها هنا بالساعة المائية امر لا ينكر .

وصنعها يختلف في الشكل والهيئة والجرم والطول والعرض ، إلا ان المبدأ الذي توضع عليه واحد . وقد وصف الغزالي صنع ساعة قطارة للصلاة . قال: « ان صندوق الساعات التي بها نتعرف اوقات الصلوات يتركب من آلة على شكل اسطوانة - تحتوي مقداراً من الماء معلوماً . وآلة اخرى مجوفة موضوعة فيها فوق الماء ، وخيط مشدود احد طرفيه في هذه الآلة المجوفة ، وطرفه الآخر في اسفل ظرف صغير موضوع فوق الآلة المجوفة ، وفيه كرة ، وتحته طاس ، بحيث لو سقطت الكرة وقعت في الطاس وسمع طنينها . ثم يثقب اسفل الآلة الاسطوانية ثقباً بقدر معلوم ينزل الماء منه قليلا قليلا ، فاذا انخفض الماء انخفضت الآلة المجوفة الموضوعة على وجه الماء ، فامتد الخيط المشدود بها ، فحرك الظرف الذي فيه الكرة تحريكا يقربه من الانتكاس الى ان ينتكس ، فتتدحرج منه الكرة وتقع في الطاس ، وتطن ، وعند انقضاء كل ساعة تقع واحدة .

وانما يتقدر الفصل بين الوقتين بتقدير خروج الماء وانخفاضه ، وذلك بتقدير سعة الثقب الذي يخرج منه الماء . ويعرف ذلك بطريق الحساب فيكون نزول الماء بمقدار مقرر معلوم ، بسبب تقدير سعة الثقب بقدر معلوم ، ويكون اعلى الماء بذلك المقدار ، ويتقدر به انخفاض الآلة المجوفة وانجرار الخيط المشدود بها . ويولد الحركة في الظرف الذي في الكرة . وكل ذلك يتقدر بتقدر سعته لا يزيد ولا ينقص . ويمكن ان يجعل وقوع الكرة في الطاس سبباً لحركة اخرى وتكون الحركة الاخرى سبباً لحركة ثالثة ، وهكذا الى درجات كثيرة حتى يتولد منها حركات عجيبة مقدرة بمقادير محدودة . وسببها الاول نزول الماء بقدر معلوم . » اه

ولم نجد مؤرخاً عربياً قديماً ذكر هدية هرون الرشيد لقارله (هكذا اسمي المسعودي وابن الاثير وغيرهما شرلمان أي شارل الكبير او قارله العظيم)

وسبب سكوت اخبارينا عن التصريح بتلك الهدية هو ان السلف كبار النفوس أباة لا يذكرون الهدايا اذا ما جادوا بها بل يسكتون عنها ، لان من امثالهم قولهم : « المن يبطل المن » (١) اما الذين ذكروها في المائة المنصرمة وهذه المدثة فقد أخذوا الخبر عن الغربيين لا عن كتبتنا .

وصنع هذه الساعات المائية معروف في جزيرة العرب قبل ان يصنعها اخوانهم العراقيون . وما نقلناه من كلام الهمداني في صدر جوابنا هذا دليل واضح على ان اليمانين كان يحكمون صنعها كما كانوا يحكمون صنع اشياء اخر ، اشار اليها الهمداني في كتابه الاكليل المذكور (٢) .

الخص

بغداد : ب . م . م . من مبادئكم اللغوية : ان ما كان من الكلم اليونانية والرومية مثنى الهجاء لا صلة بالعربية . وهذه كلمة Casa اللاتينية فباي كلمة عربية تتصل ؟

ج . معنى اللاتينية البيت من القصب والكوخ والبيت الحقير ، وهو يتصل « بالخص العربية (بالضم) . قال المجد الفيروزابادي : « الخص ، بالضم : البيت من القصب او البيت يسقف بخشبة كالازج . » اه

الكاسة والمنكاسة

ومنه : يسمي بعض البغداديين الغضارة : الكاسة وآخرون « المنكاسة » فمن اين جاءتنا هتان اللفظتان ؟

ج . الذي عندنا ان الكاسة جاءتنا عن طريق الترك الذين يخففون كل حرف عربي فخم . واصلها « القصعة » اي ق = ك . و ص = س . و ع = ا . ـ وفيها قدمت الالف على الصاد من باب القلب المكاني . واما « المنكاسة فنظنها تصحيف ميكاسة المركبة من « مي » الفارسية اي خمر ، وكاسة اي القصعة . فيكون معناها « الباطية » او قصعة الخمر ، لان الخمر توضع فيها .

١) ولعل هناك سبباً آخر هو كثرة وجودها في ديار العرب مما دعاهم الى اغفال ذكرها .

٢) وفي خزانتنا مجموع مخطوطات كتب سنة ١٠٩٣ وفيه تصنيف سماه صاحبه « عمل الساعات المائية التي ترمي بالبنادق وفيها ضروب من الحركات » . ولم نجد مثل هذا التأليف بخزانة من خزائن ديار الغرب ولا في قطر من قاطر ربوع الشرق . وفيه تصاوير عديدة بديعة والمخطوط في هذا الموضوع يبتدىء في ص ٢١٨ وينتهي في ٢٤٦ ولم يذكر اسم مؤلفه .